مشهد

أسواق الثقافة العربية خسائر بلا أرقام
ثقوب سوداء تزداد اتساعاً

تخسر الثقافة العربية المعاصرة، التي ينشغل منظّروها بنقاشات قديمة وبالية تُقعدهم عن مواكبة الخطاب النقدي العالمي، اسواقها المحلّية فعلياً وامتدادتها الممكنة في الجوار والعالَم امام المدّ الثقافي الغربي الذي غزا العالم العربي من محيطه الى خليجه

ناصر الرباط

تواجه الثقافة العربية المعاصرة إشكاليات عديدة مع تحوّل العالم تدريجياً إلى سوق واحدة كبيرة، بعضها سياسية الخلفية أو أيديولوجية أو اجتماعية تعوق تواصلها مع الثقافات العالمية الأخرى، ولكن بعضها اقتصادي وراسمالي بالدرجة الأولى. هذه العوامل غالباً ما تكون غائبة عن التحليلات التي تركّز على معايير الفكر والفن والأدب في تقييم الثقافة لا على ظروف إنتاجها وتسويقها واستهلاكها (وهذه كلها بداهة مصطلحات اقتصادية).

أفرز الغرب، الذي ما زال يتربّع على عرش القوّة المُتحكّمة في العالم، ثقافة استهلاكية هيمنت على العالم كلّه هيمنة بطّاشة وسيطرت بشكل شبه كامل على كافّة أوجه الإنتاج الاقتصادي والمعرفي والتكنولوجي والفني والثقافي فيه لمصلحة الغرب واستقراره ورفاهيته وسيادته. أصبحت الثقافة بالمعنى الإبداعي للكلمة في هذا الإطار الاستهلاكي، كغيرها من أوجه النشاط الإنساني، سلعةً تُباع وتُشترى ولها ثمن. ولن نكون هنا ساذجين أو طوباويّين وندّعي أن الثقافة لم تكن كذلك قبل طغيان الرأسمالية المتأخّرة، ولكن سلعيتها لم تكن الصفة الأولى، وأحياناً الوحيدة، التي تميّزها وتُحدّد قيمتها، أمّا الآن وقد أصبحت كذلك وبشراسة، فقد أضعفت القيمة المادية للمنتج الثقافي إلى القيم الأخرى التي دفعت الغرب بالأساس إلى احتكار مفهوم الثقافة نفسه، ومُنحت الدور الأساس في تقييم الثقافة ببعديها النخبوي والجماهيري (هل هناك حقّاً فارق بنيوي مهمّ بينهما؟).

تتطلّب السيطرة على سوق المنتج الثقافي اكثر من توافر الموهبة، فهي بحاجة إلى رأسمال وتسويق وإعلان وسوق واسعة تتجاوز في حدودها سوق اللغة الواحدة أو الثقافة الأحادية. والإنتاج الثقافي اليوم مربح مادياً، ممّا يجعل السيطرة على سوق الثقافة هدفاً سياسياً واقتصادياً في الآن نفسه، كما هو هدف تنافسي وشخصي وثقافي.

هذا ما فهمته القوى الاقتصادية والثقافية في الغرب، وفي بعض المجتمعات النامية في الشرق كالهند واليابان، واستثمرته لصالح ثقافاتها وصالح رفاهية العاملين على إنتاج هذه الثقافات في مجتمعاتها، مما ربطها بالدورة الاقتصادية والربحية، وجعلها بالتالي مطلباً سياسياً واستراتيجياً يُخطّط له على اعلى الأصعدة وتُجيَّش له موارد الدولة وقدراتها وعلاقاتها.

هذا واحدٌ من أهم أسباب عجز ثقافات العالم العربي والعالم الثالث عموماً عن تجاوز الإطار اللامتكافئ الذي عانت منه في أيام سطوة الاستعمار في النصف الأول من القرن العشرين على الرغم من طغيان حضارة الاستهلاك على كل التعبيرات المحلّية في العقود الأخيرة. هذا الإطار كان ولم يزل محكوماً واقعياً وعددياً وثقافياً ومادياً بالكم الهائل من أبناء وبنات العالم العربي الذين لا تُتاح لهم إطلاقاً المشاركة في صياغة الثقافة العالمية المعاصرة بسبب من الفقر والجهل والمرض، والحكّام الدكتاتوريّين، والمثقّفين المتعالين، والاستغلال الاقتصادي البشع، والانقطاع عن وسائل المعرفة، وسيطرة التقاليد المتزمّتة وركّاب موجتها من مدّعي الرشد والصلاح على حياتهم ونظرتهم إلى الأمور.

نوري الراوي، اكريليك على قماش، 200

> الفقر والجهل والمرض والدكتاتورية والمثقّفون المتعالون

> السيطرة على سوق الثقافة هو ايضا هدف سياسي واقتصادي

وعليه، فالثقافة العربية المعاصرة، بالإضافة إلى التهاء منظّريها بنقاشات قديمة وبالية تُقعدهم عن مواكبة الخطاب النقدي العالمي، تخسر أسواقها المحلية فعلياً وامتداداتها الممكنة في الجوار الجغرافي والثقافي أمام المدّ الثقافي الغربي الذي غزا العالم العربي من محيطه إلى خليجه (وخاصة خليجه الذي يرفل اليوم في ثراء البترول).

تنطبق هذه الملاحظة على أغلب مناحي الإنتاج الثقافي العربي اليوم، وإن كانت حدّتها تتراوح بين منحى وآخر: فالرواية العربية، على تنوّع كتّابها وازدياد أعدادها، في حافة انكماش نسبي أمام تراجع عدد القرّاء بالعربية بسبب من تصاعد الأمية ثانية بعد النجاح النسبي الذي حقّقته برامج محوها في ستينيات وسبعينيات القرن العشرين، من جهة، وازدياد عدد العرب الذين يفضّلون القراءة بلغات أجنبية ولا يتقنون العربية أصلاً على الرغم من دراستهم في العالم العربي من جهة أخرى. وكذا الحال بالنسبة إلى الإنتاج الفكري بعمومه، حيث لا يزيد عدد النسخ المطبوعة من أيّ كتاب فكري أو فلسفي في العالم العربي عن ألفي نسخة لسوق قرّاء يمكنها نظرياً أن تستوعب مئة مليون من القرّاء. بل إننا اليوم نجد عدداً لا يُستهان به من الروائيّين والمبدعين والمفكّرين العرب الذين يختصرون الطريق ويكتبون مباشرةً باللغات الأجنبية لجمهور غربي أو عربي متغرب لاعتقادهم بأن «العرب لا يقرأون»، بحسب بعض أعدائهم.

أمّا السينما والمسرح، فهما كذلك في حالة تراجع أمام الغزو الغربي الفنّي والسينمائي بعد نهضة فنية قصيرة الأجل في الثمانينيات والتسعينيات؛ فحصّة السينما العربية اليوم من الأفلام عالمياً ضئيلة نسبياً وضعيفة فنياً على الرغم من وجود بعض المبدعين السينمائيّين البارزين في دول عربية مختلفة، وعلى الرغم من ازدياد عدد المهرجانات والجوائز والاحتفاليات في الآونة الأخيرة. مع ذلك فالسوق واسعة والمستهلك العربي يقبل بشراهة على الأفلام الغربية (والهندية والتركية والإيرانية) ويهمل العربية، إمّا لضعفها أو لعدم حضورها الفعّال في السوق.

أمّا المسرح، فحاله أسوأ؛ إذ انصرف الجمهور العربي عن جانبه الجاد، الذي نجد أن أغلب مؤسّساته في عواصم العالم العربي تحتضر، والتفت إلى بعض جوانبه المسلية والترفيهية التي ما زالت هي الأخرى ضعيفة فنياً وتمويلياً وثقافياً.

والحال أسوأ بكثير في ما يخصّ العمارة في العالم العربي؛ حيث إننا لا نجد اليوم معمارياً عربياً عالمياً واحداً يمارس في العالم العربي (المشاهير من أمثال الراحلة زها حديد وهاني رشيد ينتمون بالحقيقة في مهنيتهم إلى الغرب). والأنكى من ذلك أننا لا نجد لمهنة العمارة وجوداً يُذكر في النهضة العمرانية التي تمور في مدن الخليج العربي خاصة؛ حيث إنها أصبحت معرضاً للابتكارات المعمارية الجديدة تنافس مدن الغرب الكبرى. فغالبية المشاريع الهائلة تذهب إلى شركات العمارة الغربية العملاقة ويُلقى للمصمّم المحلّي بالفتات.

(مؤرخ معماري مقيم في الولايات المتحدة)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

أصل الصورة

مع نمو سوق الفن التشكيلي عربيا وازدياد راغبي اقتنائه، تحسّنت نوعيته وتنوّعت، ولو ان الفنّ بعمومه ما زال محليا وما زال مسوّقوه الاكثر نجاحا هم شركات المزايدات العالمية من امثال «سوذبي» و«كريستي»، بحيث ما زالت معادلة التفوّق الغربي قائمة والسوق الغربي عامرا بالمال العربي الذي يُبذل في اللحاق بصورة الغرب، مع قليل ادراك بان اصل الصورة ثقافي وعميق وعصيّ على النوال.

أصدقاء لغتنا

القارئ التركي قريب دائماً من فلسطين
عزّت مرانجوز أوغلو

تقف هذه الزاوية عند مترجمي الادب العربي إلى اللغات العالمية المختلفة، ما هي مشاغلهم واسئلتهم وحكاية صداقتهم مع اللغة العربية

إزمير ـ العربي الجديد

■ متى وكيف بدأت علاقتك باللغة العربية؟

وُلدت عام 1974 في مدينة أنطاكية بين أسرة تتكلم اللغة العربية. أبي من أصل عربي وامي عربية ايضاً من أصل تركي. بدأت علاقتي باللغة العربية من خلال البيئة والقرية التي تربيت فيها. حيث كان كل من حولي يتكلم ويتعامل ويتواصل بهذه اللغة. بدأت علاقتي بالعربية كسائر أطفال القرية منذ ولادتي. فالعربية كانت مركز حياتنا اليومية صغارًا وكبارًا. كانت العربية لغة فرحنا وحزننا وطعامنا وشرابنا والعابنا وكل شيء يحيط بنا من ماء وجفاف وورد وشوك وجبل وسهل وحيوان ونبات؛ كل الأسماء كانت عربية. وأما العربية الفصحى فبدأت علاقتي بها من خلال أفلام الكرتون التي كنت أشاهدها عبر التلفزيون العربي السوري ببيت الجيران آنذاك. ثم أرسلتني جدتي في عطلة الصيف إلى شيخ الكتاب في القرية. تعلمت القراءة والكتابة عند الشيخ وحيد رحمة الله عليه. وختمت القرآن الكريم عنده. كانت أمي وجدتي تحثاني وإخوتي دائما على تعلّم العلوم الإسلامية عامة واللغة العربية خاصة. فكنت أجمع أوراق الروزنامة من هنا وهناك لكي أقرؤها لهما وأنال إعجابهما وأدخل البهجة والسرور عليهما. وأعقب هذه المرحلة مشاهدة الأفلام الأجنبية المترجمة المكتوبة بالعربية. ثم انتهت مرحلة الابتدائية وبدأت مرحلة ثانوية الأئمة والخطباء التي استمرت سبع سنوات. فساعدتني هذه المرحلة على تحسين المهارات الكتابية واللغوية.

■ ما أول كتاب ترجمته وكيف جرى تلقيه؟

بدأت تجربتي في الترجمة منذ السابعة أو الثامنة من عمري عندما بدأت بإتقان قراءة وكتابة اللغة التركية من خلال الرسائل الورقية التي كنت أقرؤها وأترجمها للجيران من التركية إلى العربية. هذه الرسائل التي كنت أقوم بقراءتها أو كتابتها كانت تأتي من شاب إلى أهله أو من زوج إلى زوجته أو من خطيب إلى خطيبته أو العكس. كنت -إذا صح التعبير- أميّ سرٍّ لهؤلاء الناس جميعًا. وقد زاد هذا من قيمتي عندهم وحثّني على تطوير مهارات اللغتين التركية والعربية.

أول كتاب ترجمته كان للشيخ يوسف القرضاوي بعنوان «القدس قضية كل مسلم». وقد نال هذا الكتاب عند صدوره عام 2010 عن دار النداء في مدينة إسطنبول اهتماماً كبيراً لدى القارئ التركي المتعاطف دائمًا مع القضية الفلسطينية. وازداد هذا الاهتمام عقب مجزرة أسطول الحرية «مافي مرمرة» التي ارتكبها العدوان الإسرائيلي بعد أيام قليلة من صدور الكتاب.

■ ما آخر إصداراتك المترجمة من العربية وما هو إصدارك القادم؟

بعد ترجمتي للكتاب الأول قمت بترجمة كتابين آخرين؛ الأول «فتاوى من أجل فلسطين» للقرضاوي والآخر «القيادة العسكرية في الإسلام» لعبد الله محمد الرشيد. صدر هذان الكتابان عام 2010 عن دار النداء ودار بيبنار في إسطنبول. ثم قمت بترجمة كتاب «التربية الاجتماعية في الإسلام» لعبد الرحمن النحلاوي. وسيصدر هذا الكتاب عن دار بيبنار في إسطنبول قريبًا إن شاء الله.

> للأدب العربي، خاصة الديني، تأثير كبير في حياة الأتراك

بطاقة

izzet marangozoğlu مترجم وأكاديمي تركي من مواليد 1974 في مدينة أنطاكية. تخرّج في كلية الإلهيات بجامعة سلجوق (1997). نال شهادة الماجستير من الجامعة نفسها برسالة عنوانها «البديع والبديعيات في الأدب العربي» (2005). وحصل على شهادة الدكتوراه من جامعة نجم الدين أربكان في مدينة قونيا بأطروحة عنوانها «منهج التفسير البياني فاضل صالح السامرائي نموذجًا» (2015). عمل مدرّساً في المدارس الثانوية في أنطاكية وقونيا. ويعمل أستاذًا محاضرًا في قسم اللغة العربية وبلاغتها في كلية العلوم الإسلامية بـ«جامعة إزمير كاتب شلبي» منذ 2014.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

عزّت مرانجوز اوغلو (تصوير: فاطمة نور)

■ ما العقبات التي تواجهك كمترجم من اللغة العربية؟

اللغة العربية لغة مُعبّرة وغنية بمفرداتها وسحر أوصافها وعذوبة أشعارها. فاللفظة العربية تُعبّر عن المعنى المُراد بأوضح وأفضل صورة وبأدق وأجمل معنى، خصوصا في القرآن الكريم. فعلى سبيل المثال كلمة (أَحَدٌ) التي وردت في سورة الإخلاص مرتين لتفيد معنيين مختلفين: الأول بمعنى المُنفرد بالألوهية والمنفيُّ عنه الشّريك، والثاني في آخرها بمعنى إنسان أو كائن أو مَخلوق. وقد حصل بين هاتين الكلمتين جناس تام، فتحولت اللفظة من كلمة إلى صورة فنية يصعب على المترجم نقلها الى اللغات الأخرى، إضافة إلى ما تحدثه من تأثير في نفس المتلقي. وهذا يشكل عقبة رئيسية أمامي كمترجم، إذ يتعذّر عليّ أحيانًا نقل أو ترجمة بعض الصور البلاغية، خاصة الشعرية، إلى اللغة التركية.

شعر

في وقت متأخّر حين يكون الليل قد أفرغ كلّ هداياه
الكلمات عندما تعتق

ذيونيسيس كاراتزاس

برنامج رحلة

عند فجر الحبّ
سآجيء لِئَلاثمَ الظلمات.
ثمّ سأذهب إلى الصمت
ونجمع أحلاماً.
في وقت متأخّر، حين يكون الليل قد أفرغ
كلّ هداياه،
سنغيّر الزمن والتراب
إلى أن يطلع في طريقنا وطن.
■■■

غروب

عندما يرحل النهار،
تُهجر الطيورُ الرياح
وتختار شجرةً حضناً.
هناك ترسم البحار
التي لم تشبع منها.
هناك تغسل أغانيها
بقبلات سرّيّة.
وأنت؟
■■■

الشاعر

تارة يثبّت على المياه الضوء
وتارة يوزّع الدروب على الطيور
وتارة يمنح للفصول العدل.
عجائب كهذه يجترح في ساعات القلق
الجماعيّ
ذاك الذي يصغي إلى الكلمات.
■■■

الكلمات

الكلمات، عندما تعتق،
ألقُوها في القصائد.
فيها ستهتدي إلى الحقيقة
وإلى بريقها من جديد.
إن يكن الشعر بعيداً عنكم،
فاحفظوها في صمت عميق
وفي رطوبة الجسم.
انتبهوا إلى أن تكون دائماً
قريبةً من الأطفال، من النار والعشق.
قبل كلّ شيء حافظوا عليها في حالة كتابة.
■■■

مستقبل

ذهب إلى كلّ مكان،
إلى الليل والنظرات والصمت.

بطاقة

شاعر يونانيّ من مواليد مدينة باتراس، عام 1950. له ستة عشر ديواناً شعريّاً، كما نُشرت قصائده في مجموعات شعريّة مشتركة. لحّن الموسيقيّ الشهير ميكيس ثيودوراكيس العديد من قصائده. حاز على جائزة «أكاديمية أثينا» عام 2006.

فعل كلّ شيء،
سُرَّ وتألّم وأمل.
تحدّث إلى الكلّ،
إلى الأصدقاء والمستبدّين والقدّيسين.
ما زال يسكن في الإيجار.
■■■

شكوى

تأخّرتِ مجدّداً لتبدّلي اليومَ
ونوره المظلِم يُعذّبنا.
وأمس تأخّرتِ لتبدّلي لون الأحلام
ورأيت كيف تكبر المخاوف.
ودوماً تتأخّرين في تغيير الحديث
كأنّك تؤجّلين المعنى على الكلمات.
إن كنتِ ستتأخّرين إذاً،
فلأُسْرِعْ أنا لأنتظر.
■■■

اتمسّك بالماء

ما دُمْتِ هنا،
أسمع نهراً في الليل
يُنزِل نوراً آخر
ثمّ يستلقي عند جذوري.
حين يتغيّر مكاني،
أسمع النهر ذاته في الليل
يُنزل ثراياً غريباً
ويبقى واقفاً بجانب ظلّي.
اتمسّك بالماء كي لا أختنق في اليباس.

(ترجمة عن اليونانية: روني بو سابا)

ذيونيسيس كاراتزاس

شذرات

ان تطوّر قدرات الدعاية الاشهارية والاذاعة والسينما، ناهيك عن منظومة المظاهر الاجتماعية التي تتعقّد اكثر فاكثر، يجعل من تطوير السيميولوجيا ضرورة مُلحّة اكثر فاكثر.

رولان بارت ـ من مقال نشر عام 1956

كيف كان ممكنا للعرب ان يستغنوا عن الصورة. يبدو انهم ما كانوا يهتمون بذلك إطلاقا، وهم على اي حال لم يبذلوا اي جهد لتحديد صور تهم. ماذا كانت صورة هارون الرشيد، والمتنبي، وابن رشد ؟ لن نعرف ذلك ابدا. مع ان الرسم كان موجودا في بعض الحقب، غير انه ما كان يخطر على بال احد ان يستخرج صورة لنفسه.

عبد الفتاح كيليطو ـ «حصان نيتشه» بترجمة عبد الكبير الشرقاوي

يقال ان الحب طريق الى الاكتمال، فهو بحث عمّا ينقصنا لدى طرف آخر. لكن هل حقا يوجد من يحبّ الاكتمال؟ وحتى من يذهبون في هذا الطريق سيعرفون سريعا ان ثمن الذهاب إليه هو سلسلة طويلة من التنازلات.

آسا لارسون (كتبة سويدية) ـ من رواية «ريبيكا مار تينسون»

بدون تدخّل الموزّخ في ترتيب الاحداث ووضعها في «حبكة» هل يظل هناك معنى للكتابة التاريخية؟ هناك المئات من الجداول الكرونولوجية التي ترسم تاريخ بلد ما، هل اشبعت تلك الجداول انتظارنا المعرفية؟ وحدها الحبكة تفعل ذلك.

بول ريكور ـ «السرد والزمان»